النقد الثقافي

السداسي السادس تخصص نقد و مناهج

المحاضرة الثالثة )السابعة(

الانتقادات الموجهة للنقد الثقافي عند الغذامي

**/الانتقادات الموجهة للنقد الثقافي عند الغذامي :**

**أ/ الجانب النظري:**

الأمر المهم لنا في هذا السياق هو دعوة الغذامي الجريئة والضرورية لتجديد عناصر الرسالة الأدبية وتوسيعها. وأعترف أن تحديث الجهاز الإصطلاحي للنقد ضرورة ملحة ، وقد قدم الغذامي مقترحات عملية تعبر عن التحول في وظيفة النقد ،ودعى إلى استخدامها في النقد الثقافي ، لكن الملاحظ في الجانب التطبيقي لو يستخدم إلا عدداً محدوداً منها ، وأهمل مكونات الجهاز الاصطلاحي الذي دعي إلى تحديثه، فظلت تلك المكونات أسيرو الجانب النظري. الغذامي في مشروعه يقوم بانتقاء جزئيات يضخمها ويجعل منها قانوناً متحكماً في النتائج التي يرمي الوصول إليها ، ومن ذلك النصوص المتناثرة لأبي تمام والمتنبي وشعراء آخرون فهل يجوز إقتطاع نصوص من سياقتها ، وإسقاط دلالات خارجية عليها. وكذلك الغذامي طرح مجموعة من الأسئلة التي تحمل أجوبتها معها " هل الحداثة العربية حداثة رجعية...؟ وهل جنى الشعر العربي على الشخصية العربية...؟...الخ، وبعد ان تنتهي الأسئلة التي تدور حول هذا الموضوع ، تظهر الإجابة مرفقة بها بعد أسطر في الصفحة نفسها. ومن الواضح أن تحليلات الغذامي لامعة وعميقة ومثيرة للاهتمام ، لكن شيوع الروح التفتيشية التي تعزل أدلة مفردة من سياقاتها ، واستنباط نتائج كافية ، يعيدنا إلى النقد التقليدي الذي دعى الغذامي ’إلى تخريب ركائزه ، وفي مقدمته النقد البلاغي

. **ب/ الجانب التطبيقي:**

يقول الغذامي إن الأنساق الثقافية تاريخية أزلية وراسخة دائماً ، فكيف تكون راسخة وهي نتاج سياقات ثقافية متحولة . إن إقرار الغذامي بأن الحداثة الشعرية العربية حداثة رجعية ،وهو بهذا يسلب عن الشعر صفة الحداثة إن وجدت فيه. وخلاصته التحليلية حول أدونيس الذي قال منذ زمن بعيد أن الحداثة العربية وجدت في الشعر وليس غيره ، وتفنيد الغذامي لذلك والوصول إلى أنها مست الشكل دون الجوهر. نلمس بوضوح أن الغذامي متهيئ نفسياً وعقلياً لاستبعاد الجانب الايحائي والرمزي في الأدب والفكر والحياة ، لكن برجوعنا إلى الرواية بوصفها متخيلاً سردياً نشأت كمعارضة صريحة. للعقلانية الصارمة، من بواعثها إعادة التوازن المفقود في الحضارة الغربية لصالح العقل الصارم الذي تحول إلى أداة . إن الغذامي ينظر إلى النثر العربي نظرة تقليدية مشتقة من التعريف الشائع ، فيراه مجسداً بالرسائل والخطب ، وما يندرج تحت التصنيع البلاغي الذي غزى الكتابة العربية. وإذا أردنا ان نلتمس النثر التخيلي الذي يقابل الشعر ، وجدناه في المرويات والمدونات السردية كالسير والرحلات والحكايات الخرافية والأسطورية ،وفي المقامات. يذهب الغذامي إلى أن نهاية العصر الجاهلي شهدت انفصالا بين النسق الفردي والنسق الجماعي ، ولكن السبب والظروف التي أحاطت بذلك تبقى غائبة ، واللحظة التاريخية غير محددة بالضبط. تشوب تحليلات الغذامي نظرة إصلاحية تتعالى منها أحياناً أحكام أخلاقية واعتبارية ، النقد الثقافي القائم على الاستنطاق والتحليل ، وكشف المصادرات ، وفضح العيوب النسقية ، وتفكيك الالتباسات الداخلية المستترة في صلب الظواهر الثقافية أو الاجتماعية. في سياق تحليل الغذامي للعصا كنسق ثقافي عند الجاحظ انتقل إلى العصاء في "ألف ليلة وليلة" ممثلاً على ذلك بحكاية "حسن الصائغ البصري" وإذا كنا نشاطره الرأي في إعتبار العصا في الحالة الأولى عنصراً فاعلاً في نسق ثقافي له دلالته الاجتماعية ، فمن الصعب أن يكون ذلك فيما يخص العصا في" ألف ليلة وليلة"، وغير ذلك ، لها صلة بالقدرات السحرية الخاصة بالبطل وظيفتها السحرية لها دلالة ثقافية مختلفة عما تؤديه العصا عند الخطباء. أورد حكايتي مقتل طرفة بن العبد وامرئ القيس على أنها استثناء في نقض النسق. لما لا يمكن اعتبارهما نسقاً معارضاً؟ فهل من الصحيح تبخيس قيمة الأحداث المماثلة واعتبارها حالات استثنائية ناقضة للنسق ، ولكنها غير قادرة على تأسيس نسق مغاير ؟ فليس امتثال الشعراء والأدباء هو السنة التي لا تنقض في تاريخ العرب ، فنموذج طرفة وامرئ القيس وبعض الشعراء في صدر الإسلام وبشار وابن المقفع والمتنبي ، وغيرهم كثير ، ممن فتكت بهم القيم الشمولية . يظهر الغذامي حرصاً كبيرا على تأكيد الفكرة القائلة بأن النقد الثقافي قد جارى الشعراء فيما يذهبون إليه ، ولذلك توطأ معهم وشغل بجماليات النصوص الشعرية ، ولم يفلح في تأسيس نظرة نقدية مغايرة. وهذه الفكرة بعمومها ليست خاطئة ، ولكن لايستقيم أمرها تماماً بوجود أكثر من دليل يعترضها ، من ذلك موقف الإسلام من الشعر ، وإهمال البعد الجمالي لصالح البعد الوظيفي الداعم للدين .

**نقد النقد الثقافي:**

لا أحد ينكر أن النقد الثقافي كما طرحه (فانسان ليتش) و(عبد االله الغذامي ) مجموعة من الإيجابيات وتتمثل في أن النقد الثقافي ثورة منهجية في عالم النقد الأدبي ، حيث أعاد النظر في الكثير من المفاهيم والمسلمات التي تقبلناها حين كنا ندرس أدبنا العربي على أنها احكام صحيحة ويقينية بشكل من الأشكال . بيد أن الغذامي صحح لنا مجموعة من هذه المفاهيم الخاطئة في ضوء المقاربة الثقافية وذلك بفضل منهجه النقدي الجيد الذي يعد مشروعاً نقدياً عربياً يستحق منا التنويه والتشجيع على الرغم من بعض هفواته النظرية الطفيفة وتصوراته المجانية للصواب وأحكامه الإيديولوجيا المتسرعة. لكن هناك مجموعة من الانتقادات التي يمكن توجيهها إلى النقد الثقافي بصفة خاصة والدراسات بصفة عامة ، وتتعلق بالنقط التالية :

\_ شيخوخة البلاغة العربية بعلومه الثلاثة ، وهذه الحكم صحيح إذا كنا ندرس البلاغة انطلاقا من التصور التقليدي للبلاغة .

\_ يرى الغذامي أن النقد الأدبي قد مات وأن النقد الثقافي هو الذي سيموت في يم ما ، إذا لم يطور أدواته النهجية ، حيث يساير كل الحداثة المتجددة والممكنة بجدية وانفتاح وتواضع .

\_ يبدو أن النقد الثقافي يهتم بشكل كلي لمقاربة الأنساق الثقافية في ضوء مقارب سياسية إيديولوجية. ومن ثم يتحول النقد الثقافي إلى أحكام سياسية مبتذلة، تطلق بشكل معمم، دون الاستناد إلى معايير جمالية وفنية مقبولة.

\_ تعميم الأحكام : يسقط الناقد الثقافي عبد االله الغذامي في نشكل تعميم الأحكام ، حيث يرى أن القصيدة الشعرية العربية القديمة تتحكم بني الفحولة الناتجة عن سيادة طغيان الاستبداد السياسي والاجتماعي ذلك نستطيع أن نقول أن من أسباب النفور النقدي الثقافي ترجع لأسباب وحقائق مختلفة تمثل العقلية العربية وطريقة التعامل مع الآخر بالإضافة إلى أسباب إنسانية ترتبط بالتشكيل النفسي .

ومن الأسباب التي تدعو إلى نفور كثير من العرب نستطيع أن نحصرها فيما يلي :

\_الخوف من الجديد لأنه يحمل أفكاراً مجهولة بالنسبة لمتعاطيه وبتالي ستكون له آثار مجهولة والخوض في المجهول يحتاج إلى جرأة وكثير ما ترمي الجرأة بصفات مثل التحرر والانحراف والفساد والإفساد والابتعاد عن القيم الأصلية.

\_ يقول الجاحظ إن فضيلة الشعر مقصورة على العرب وعلى من تكلم بلسان العرب .من هذه المقولة تنطلق عزة العرب بغتهم وثقافتهم وهذا الإحساس سحق الطرف الآخر فذلك مدعاه بعدم الاعتراف به ونبذ هذا الطرف كلياً.

\_ اعتبار أن الثقافة الغربية ثقافة متحررة تدعو إلى إحلال ثقافتها مكان الإسلامي ، هنا جعل المثقف العربي بنبذ الثقافة الغربية فلا يمكن قبول البديل للفكر الإسلامي.

\_ زوال سلطة المثقف لأن النقد الثقافي لغة الطبقة الثقافية من خلال ’اهتمامه بكل أشكال الخطاب. ولكن لا بد أن ندرك أن هناك مشكلات تواجه النقد الثقافي وهي:

إن المصطلحات المستخدمة في النقد والتحليل والتفسير أصبحت على قدر من الصعوبة والتقنية العالمية إلى درجة أن في كثير من الحالات تكون شديدة الإبهام عندما يتواصل نقاد الثقافة بعضهم مع بعض في مناقشات أو كتابات أو حوارات نراهم يتحدثون بلغة تميل إلى الغموض إلى درجة قد يراها الإنسان العادي صعبة الفهم. وعل الرغم من وجود لغة تقنية ولغة عسيرة التفسير في كثير من مؤلفات النقد الثقافي إلا أنه لدى كثير من مؤلفيها ومنظريها مفاهيم وأفكار موحية قد يشارك فيها القراء الذين لديهم اهتمام بالإعلام والثقافة الشعبية والفروع الاخرى المتصلة بهذه المواضيع التي قد تعمد عليهم بالفائدة بشرط أن تأتي هذه الكتابة من هذه الأصعدة فجاك دريدا مثلاً يكتب بأسلوب مشوب بالغموض الشديد حتى قيل ، إن دريدا أو غيره من الكتاب يكتبون عن عمد نثرا معتما غير قابل للنفاذ أو الفهم، بحيث إذا هوجمت أفكارهم فإنه سيكون من مقدورهم الدفاع عن ذلك . إذاً لابد أن يهتم منظر النقد الثقافي بتبسيط كتاباتهم حتى يتسنى استيعاب النقد الثقافي والقيام به